قواعد إيمانية وعلمية

زمن انتشار الأوبئة

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قنزال المزروعي

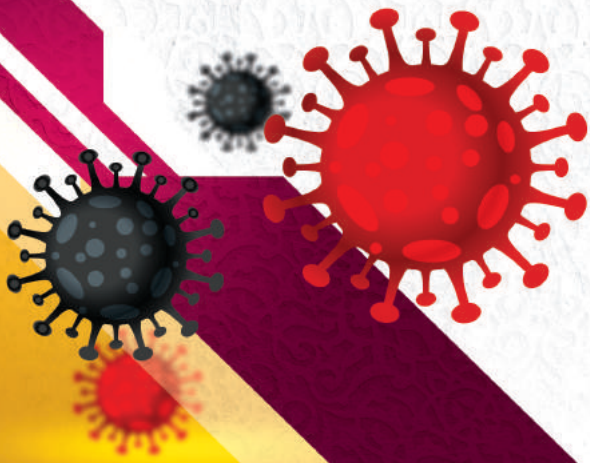

قواعد إيمانية وعلمية

زمن انتشار الأوبئة

قواعد إيمانية وعلمية

زمن انتشار الأوبئة

الشيخ
د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي
حفظه الله

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

للمزيد من الكتب

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet

www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل القرآن للأمراض شفاء، والصلاة والسلام علىٰ رسوله الذي بيَّن أنه ما من داء إلا وله دواء، فاللهم صل وسلم عليه وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الفصل والقضاء، أما بعد،

فإن الأمراض والأسقام مما ابتلىٰ الله به عباده، ولا بد لهم منها في هذه الدنيا، وقد ابتلىٰ الله أفضل خلقه؛ فها هو أيوب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مسَّه الضر، وها هو سيد المرسلين محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصيب ومرض.

فليس حلول هذا المرض علىٰ العبد المسلم دليل السخط، بل هو من الله لعباده المؤمنين رحمة يرفع به الدرجات ويحط بها السيئات قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ**»[1]، بل من لطيف الأسرار أن العبد مع النعم قد يبتعد عن ربِّه، والله يريد أن يقربه إليه لمحبته له أو ليرفع من منزلته فيبتليه بشيء من الأمراض والأسقام؛ فيُحدث العبد انكسارًا وذُلًّا

(١) رواه البخاري(٥٦٤٥).

ورجوعًا لله، فلولا هذا الابتلاء لما رجع إلىٰ ربِّه، فالواجب علىٰ العبد الصبر علىٰ كل مُصاب، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**»[٢]، فعليه أن يوقن أن الله لم يبتله ليعذِّبه بل ليهذبه، كما أنه ينبغي عليه أن يعلم أن هذه الدنيا دار المنغِّصات والنَّقص والخوف والمرض والموت، فلا يرجو منها كمالًا، قال تعالىٰ: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ**﴾[٣]

ثم ليُعلم أن هذه الابتلاءات بالأمراض علىٰ نوعين:

النوع الأول: خاص بأشخاص أو مجموعات، وهذا ما لا يكاد يسلم منه أحد حتىٰ الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

والنوع الثاني: عام علىٰ المجتمعات والدول، وهذا الذي يمرُّ بالعالم بين فترات زمنية متفاوتة وهو ما يسمىٰ بالوباء[٤].

---

(٢) رواه الترمذي (٢٣٩٦).

(٣) البقرة:١٥٥.

(٤) فائدة: هل الوباء هو الطاعون؟ قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**والصحيح الذي قاله المحققون أنه مرض الكثيرين من الناس في جهة من الأرض دون سائر الجهات، ويكون مخالفًا للمعتاد من أمراض في الكثرة وغيرها، ويكون مرضهم نوعًا واحدًا، بخلاف سائر الأوقات فإن=**

وقد أصيب أهل الإيمان بالأوبئة والأمراض العامة من قديم، ومن ذلك ما أُصيب به المؤمنون في عهد الخليفة الراشد عمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث أصيب أهل الشام بطاعون عَمَوَاس سنة ١٨هـ حتىٰ مات فيه ما يقارب عشرين ألفًا منهم من كان من خيار الناس وعلمائها، مات فيها أبو عبيدة بن الجراح أحد العشرة المبشرين بالجنة، ومات فيها جبل العلم معاذ بن جبل وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ(٥).

وفي زمن ابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سنة ٦٩هـ، ابتلي المؤمنون ببلاء عظيم؛ بالطاعون الجارف الذي جرف الناس جرفًا، «**وَكَانَ مُعْظَمَ ذَلِكَ بِالْبَصْرَةِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ؛ فَمَاتَ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ من الثلاثة مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ سَبْعُونَ أَلْفًا، وَفِي الْيَوْمِ الثاني منها إحدىٰ وسبعون ألفًا، وفي اليوم الثالث منها ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ أَلْفًا، وَأَصْبَحَ النَّاسُ فِي الْيَوْمِ الرابع موتىٰ إلا قليل مِنْ آحَادِ النَّاسِ**»(٦)، «**ومات بنو عجل**(٧)، **فلم يبقَ منهم إلا جارية ماتَ أهلُها، فسمعت عُواء الذئب، فقالت:**

= **أمراضهم فيها مختلفة، قالوا: وكلُّ طاعون وباء وليس كل وباء طاعونا**». شرح النووي علىٰ مسلم (١٤/ ٤٢٥).

(٥) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ١٨٧)، والاكتفاء في معرفة الخلفاء (١/ ٣٥٢)، والكامل لابن الأثير (٢/ ٣٧٦)، وشرح مسلم للنووي (١/ ١٠٦).

(٦) البداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٨)، وشرح مسلم للنووي (١/ ١٠٦).

(٧) ينظر: الأنساب للسمعاني (٩/ ٢٣٩).

ألا أيُّها الذِّئْبُ المنادي بسُحْرَةٍ هلمَّ أُنبِّئْكَ الذي قد بَدَا لِيا
بدا ليَ أنِّي قد يَتِمْتُ وأنَّني بقيةُ قومٍ أورثُوني المَباكيا
ولا ضَيرَ أنِّي سوف أتبعُ مَنْ مَضَىٰ ويتبعُني مَنْ كان بعديَ تاليا»[٨]

ومما يصف لك عظيم وقع هذا الطاعون ما قاله معدي عن رجل يكنَّىٰ أبا النفيد وكان قد أدرك زمن الطاعون -أي الجارف-، قال: «كنَّا نطوف في القبائل وندفن الموتىٰ، ولما كثروا لم نقوا علىٰ الدفن، فكنَّا ندخل الدار قد مات أهلها فنسد بابها، قال: فدخلنا دارًا ففتشناها فلم نجد فيها أحدًا حيًا، فسددنا بابها، فلمَّا مضت الطواعين كنَّا نطوف علىٰ القبائل ننزع تلك السدد التي سددناها، فانتزعنا سدَّ ذلك الباب الذي دخلناه ففتشنا الدار فلم نجد أحدًا حيًا، فإذا نحن بغلام في وسط الدار طري دهين كأنما أخذ ساعته من حجر أمه.

قال: ونحن وقوف علىٰ الغلام نتعجب منه فدخلت كلبة من شقٍّ في الحائط تلوذ بالغلام، والغلام يحبو إليها حتىٰ مصَّ من لبنها، فقال معدي: رأيت هذا الغلام في مسجد البصرة قد قبض علىٰ لحيته»[٩].

(٨) ينظر: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي (٩/ ٨).
(٩) المنتظم لابن الجوزي (٦/ ٢٦).

وقد وصف ابن خلدون حال البلاد لما نزل بها طاعون جارف فقال: «**نزل بالعمران شرقًا وغربًا في منتصف هذه المائة الثَّامنة من الطَّاعون الجارف الَّذي تحيَّف الأمم، وذهب بأهل الجيل، وطوىٰ كثيرًا من محاسن العمران ومحاها، وجاء للدُّول علىٰ حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها؛ فقلَّص من ظلالها، وفلَّ من حدِّها وأوهن من سلطانها، وتداعت إلىٰ التَّلاشي والاضمحلال أموالها، وانتقض عمران الأرض بانتقاض البشر؛ فخربت الأمصار والمصانع ودرست السُّبل والمعالم، وخلت الدِّيار والمنازل وضعفت الدُّول والقبائل وتبدَّل السَّاكن**»[١٠].

وهذه الحال التي وصفها رَحِمَهُ ٱللَّهُ قريبة من الحال التي حل فيها وباء فايروس كورونا الذي انتشر في عام ١٤٤١هـ الموافق ٢٠٢٠م، فايروس لا يرىٰ بالعين المجردة، أحدث قلقًا، وخوف دولًا؛ وأربك بشرًا، حيث أن الأرض سكنت، والناس في بيوتها اعتزلت، والطرقات من المواصلات خلت، والصلاة في المساجد علِّقت، والأسواق عطِّلت، والمرافق العامة أغلقت، فأصيب بعض الناس

(١٠)مقدمة ابن خلدون (١/ ٥٣)، ملاحظة: ينسب إلىٰ ابن خلدون مقولة: «إذا رأيت الناس تكثر الكلام المضحك وقت الكوارث! فاعلم أن الفقر قد أبقع عليهم، وهم قوم بهم غفلة واستعباد ومهانة؛ كمن يساق للموت وهو مخمور»، وهي في الحقيقة ليست له.

بالهلع، وتساهل آخرون فلم يكترثوا فانتشر المرض في بلادهم ووقع، والمؤمن العاقل من يتوسط الأمر؛ فيعمل بالشرع، ويسلِّم للقدر، ويتخذ الأسباب التي تقيه المرض والضرر.

وفي مثل هذه الأوبئة العامة، يحتاج المسلم أن يتذكر بعض القواعد الشرعية الإيمانية والعلمية المهمة؛ حتىٰ لا يقع في فخ الشيطان أو الخرافات أو الإشاعات، أو تصيبه الغفلة فيبتعد عن ربِّ البريات.

القاعدة الأولى: كمال العبودية يترتب عليه كمال الحفظ والكفاية.

قال تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾[١١]، فمن تمم العبودية لله كمل الله له الكفاية والحفظ[١٢] من كل ما يخشاه، ففي فترة انتشار الأوبئة أحوج ما يكون العبد له أن يكون قريبًا من ربِّه، يعبده ويتقرب إليه بأنواع العبادات؛ ولهذا كان مسروق رَحِمَهُ ٱللَّهُ يجتهد زمن الطاعون في العبادة، فعَنْ أَنَسِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ: «**بَلَغَنَا بِالْكُوفَةِ أَنَّ مَسْرُوقًا**

(١١) الزمر: ٣٦.

(١٢) ينظر: الوابل الصيب لابن القيم (٧).

كَانَ يَفِرُّ مِنَ الطَّاعُونِ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ مُحَمَّدٌ وَقَالَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَىٰ امْرَأَتِهِ فَلْنَسْأَلْهَا، فَدَخَلْنَا عَلَيْهَا فَسَأَلْنَاهَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ: كَلَّا وَاللهِ، مَا كَانَ يَفِرُّ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: أَيَّامُ تَشَاغُلٍ فَأُحِبُّ أَنْ أَخْلُوَ لِلْعِبَادَةِ، فَكَانَ يَتَنَحَّىٰ فَيَخْلُو لِلْعِبَادَةِ، قَالَتْ: فَرُبَّمَا جَلَسْتُ خَلْفَهُ أَبْكِي مِمَّا أَرَاهُ يَصْنَعُ بِنَفْسِهِ، قَالَتْ: وَكَانَ يُصَلِّي حَتَّىٰ تَوَرَّمَ قَدَمَاهُ»[١٣].

القاعدة الثانية:
﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[١٤].

فاعتماد القلب علىٰ الله مع اتخاذ الأسباب الوقائية توكل علىٰ الله، ومن توكل علىٰ الله حقَّ توكله فإن الله حسبه وكافيه وكفىٰ بالله حسيبًا، وليس من الشرع ترك الأسباب الوقائية؛ فإنَّ ترْكها إخلال بالشرع، وقدح في العقل، وقد قال رسول الله ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ فِي أَرْضٍ، فَلا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ»[١٥]، وقال:

(١٣) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٦/ ٨١).

(١٤) الطلاق:٣.

(١٥) رواه مسلم (٢٢١٩).

« **لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَىٰ مُصِحٍّ** »[١٦]، ومن اتخاذ الأسباب لزوم البيت وعدم مخالطة الناس.

ومن جميل توجيهات الصحابة الوقائية في زمن طاعون عمواس ما قاله الصحابي الجليل عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « **أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ هَذَا الْوَجَعَ إِذَا وَقَعَ فَإِنَّمَا يَشْتَعِلُ اشْتِعَالَ النَّارِ، فتجبَّلوا منه في الجبال** »[١٧]، أي تحصنوا منه بدخولكم في الجبال، واليوم في انتشار وباء كورونا التحصُّن منه يكون بلزوم البيوت.

مسألة مهمة: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **لَا عَدْوَىٰ** »[١٨]، فنفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للعدوىٰ لا يعني نفيَ انتقالها؛ بل المقصود نفي كونها مؤثرة بنفسها استقلالًا من دون قدرة الله، إذن العدوىٰ تكون بتقدير الله، ثم جعل الله عدم سلوك السبب في الوقاية منها سببًا لانتقالها، وعليه فقد يغلط بعض الناس من جعل العدوىٰ مؤثرة بنفسها، ويغلط بعضهم فيظن أنها لا تنتقل وتعدي.

---

(١٦) مسلم (٢٢٢١).

(١٧) تاريخ الطبري(٤/ ٦٢)

(١٨) رواه البخاري(٥٧٥٦)، ومسلم(٢٢٢٠).

القاعدة الثالثة: « احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ »(١٩).

فمن حفظ شرع الله وعمل به حفظه الله، فعلىٰ قدر الحفظ يكون الحفظ، فمن أخطر الأمور أن يكون العبد في زمن البلاء مضيعًا لشرع الله،تاركًا لما أوجب الله، واقعا فيما حرم الله، قال النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « **إِنَّ الْهَلَكَةَ كُلَّ الهلكة أن تعمل السيئات فِي زَمَانِ الْبَلَاءِ** »(٢٠)، وأخص بالذكر الصلاة، لا سيما وقد علِّقت الصلاة في المساجد وأُمر بها في البيوت، فإياك ثم إياك أن تضيع صلاتك، بل اجتهد في أدائها وإقامتها علىٰ شروطها وأركانها، وأكثر من النوافل ما استطعت، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللهُ -تَعَالَىٰ- مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ وَصَلَّاهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ كَانَ لَهُ عَلَىٰ اللهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عَلَىٰ اللهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ** »(٢١).

---

(١٩) رواه الترمذي (٢٥١٦).

(٢٠) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٢٤٥).

(٢١) رواه أبو داود (٤٢٥).

لفتة مهمة من علامات تعظيم الصلاة: «رعاية أوقاتها وحدودها والتفتيش على أركانها وواجباتها وكمالها، والحرص على تحينها في أوقاتها، والمسارعة إليها عند وجوبها، والحزن والكآبة والأسف عند فوت حق من حقوقها، كمن يحزن على فوت الجماعة ويعلم أنه تقبلت منه صلاته منفرداً فإنه قد فاته سبعة وعشرون ضعفًا»[٢٢].

❊❊❊

(٢٢)الوابل الصيب (١٦).

القاعدة الرابعة:

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٢٣)

«فِي هَذِه الْآيَة عدَّة حكم وأسرار ومصالح للْعَبد؛ فَإِن العَبْد إِذا علم أَن الْمَكْرُوه قد يَأْتِي بالمحبوب والمحبوب قد يَأْتِي بالمكروه، لم يَأْمَن أَن توافيه الْمضرَّة من جَانب المسرَّة، وَلم ييأس أَن تَأتيه المسرة من جَانب الْمضرَّة؛ لعدم علمه بالعواقب، فَإِن الله يعلم مِنْهَا مَا لا يُعلمهُ العَبْد»(٢٤).

فكم في هذه النازلة الوبائية من حكم ومصالح للعباد ومن ذلك: رجوع العبد إلىٰ ربه، وترابطه بقيادته، وتعاونه مع مجتمعه، ووقوفهم صفًا واحدًا متلاحمًا أمام هذه الابتلاءات، وكذلك ما حصل للعبد من معرفة نعمة الله عليه حال الرخاء، وما استشعره

(٢٣) البقرة:٢١٦.

(٢٤) الفوائد لابن القيم (١٩٨).

الإنسان من أن كثيرًا من الكماليات يمكن الاستغناء عنها، مع ما يصحب ذلك من العلم الذي يتعلمه العبد والعمل الذي عمل به والخبرات التي اكتسبها مما لم يكن يحصل عليه في حال الرخاء، وصدق من قال: «**الناس سواء فإذا جاءت المحن تباينوا**».

القاعدة الخامسة:
الرضا بالقدر راحة القلب والصدر.

قال تعالىٰ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢٥)، فكل ما يصيب الأرض من الأوبئة والأمراض فإنه بإذن الله وبقدر من الله، فعلىٰ العبد أن يؤمن به ويسلم لقدره؛ حتىٰ يهتدي قلبه وينشرح صدره، فلا يجزع ولا يهلع، بل عليه بالصبر، فما من مصيبة نزلت إلا رفعت، ولا توالت إلا تولت، ولا كبرت إلا صغرت، ولا جلَّت إلا تجلَّت.

وهنا وقفة مهمة: قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**إذا ابتلىٰ الله عبده بشيء من أَنواع البلايا والمحن، فإن ردَّه ذلك الابتلاء والمحن إلىٰ ربِّه**

(٢٥) التغابن: ١١.

وجمعه عليه وطرحه ببابه؛ فهو علامة سعادته وإرادة الخير به، والشدَّة بتراء لا دوام لها وإن طالت، فتقلع عنه حين تقلع وقد عوض منها أجلَّ عوض وأفضله؛ وهو رجوعه إلىٰ الله بعد أن كان شاردًا عنه، وإقباله عليه بعد أن كان نائيًا عنه، وانطراحه علىٰ بابه بعد أن كان معرضًا، وللوقوف علىٰ أبواب غيره متعرضًا، وكانت البلية في حق هذا عين النعمة»(٢٦).

القاعدة السادسة:
لا يأس من رحمة الله ولا أمن من مكر الله.

الحذر من القنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله، فالمسلم يسير بين الخوف والرجاء لا يقنط ويأس من رحمة الله، فالله رحيم بعباده أرحم بهم من أمهاتهم وقد كتب علىٰ نفسه الرحمة، وكذلك يحذر العبد من الأمن من مكر الله فلا يأمن العذاب وهو واقع في السيئات والذنوب، مفرط في الواجب، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ

(٢٦) طريق الهجرتين (١/ ٣٤٨).

وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾(٢٧).

فما تراه من خوف وهلع مفرط ويأس وقنوط مخالفٌ للشرع مبعد عن الرب، وما تراه من أمن وتساهل واستهتار مخالف للشرع مؤذن بغضب الرب.

والخوف إن زاد أفضىٰ لقنوط كما ... يفضي الرجاء لأمن المكر والنقم

القاعدة السابعة:
التوبة من الذنوب نجاة للشعوب.

«التوبة من الذنوب ترفع المصائب والابتلاءات عن الشعوب، فإن الذنوب تُزِيلُ النِّعَمَ، وَتُحِلُّ النِّقَمَ، فَمَا زَالَتْ عَنِ الْعَبْدِ نِعْمَةٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا حَلَّتْ بِهِ نِقْمَةٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا نَزَلَ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا رُفِعَ إِلَّا بِتَوْبَةٍ»، وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ

(٢٧) الأعراف:٩٦-٩٩.

وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾[٢٨]»[٢٩].

وهنا وقفة تأمل وتفكر، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وَلَمْ تَزَلْ أَعْمَالُ بَنِي آدَمَ وَمُخَالَفَتُهُمْ لِلرُّسُلِ تُحْدِثُ لَهُمْ مِنَ الْفَسَادِ الْعَامِّ وَالْخَاصِّ مَا يَجْلِبُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْآلَامِ وَالْأَمْرَاضِ، وَالْأَسْقَامِ، وَالطَّوَاعِينِ، وَالْقُحُوطِ وَالْجُدُوبِ، وَسَلْبِ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ وَثِمَارِهَا وَنَبَاتِهَا، وَسَلْبِ مَنَافِعِهَا أَوْ نُقْصَانِهَا أُمُورًا مُتَتَابِعَةً يَتْلُو بَعْضُهَا بَعْضًا، فَإِنْ لَمْ يَتَّسِعْ عِلْمُكَ لِهَذَا فَاكْتَفِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ ﴾[٣٠]**»[٣١].

ومن المهم هنا أن يكثر الناس من الاستغفار، فللاستغفار أثر عظيم في رفع البلاء ودفعه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[٣٢].

وهاهنا تنبيه مهمٌّ: وهو حمل هذه المصائب علىٰ علَّة توهن الرجوع إلىٰ الله، فإن بعض الناس إن وجِّه للتوبة والاستغفار، وبيِّن

(٢٨) الشورىٰ:٣٠.

(٢٩) الداء والدواء لابن القيم (١١٨).

(٣٠) الروم:٤١.

(٣١) زاد المعاد (٤/ ٣٣٢)

(٣٢) الأنفال:٣٣.

له أن هذه المصائب سببها سيئات الإنسان؛ علَّلها بأنها حروب بيولوجية أو حروب اقتصادية أو سياسية؛ فينشغل بهذه التحليلات عن المقصود الكبير هو الرجوع إلىٰ الله بالتوبة من السيئات.

القاعدة الثامنة:
حسن الظَّنِّ بالله سرُّ السعادة والنجاة.

حسن الظن بالله في هذه الامتحانات والابتلاءات والأوبئة من أهمِّ ما يحرص عليه المسلم، وقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ** »(٣٣)؛ فمن ظنَّ خيرًا وجد خيرًا، ومن ظن شرًّا وجد شرًّا، ومن الخطورة بمكان أن يظن العبد أن الله لا يكشف هذا الوباء، أو أنه يبيد المؤمنين عامة، وقد توعَّد الله الظَّانِّين به السوء أشدَّ الوعيد، فقال: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾(٣٤).

(٣٣) رواه أحمد (١٦٠١٦).

(٣٤) الفتح: ٦.

القاعدة التاسعة: الطبُّ النبويُّ طبٌّ ربانيٌّ.

المواظبة علىٰ الطبِّ النبويِّ؛ فإن الأعشاب النبوية لها أثر في علاج الأمراض والحماية منها، ولك في وصفة طبية نبوية واحدة العبرة، فقد قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: « **عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ؛ فَإِنَّ فِيهَا شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ** »(٣٥).

يقول ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ في بيان منزلة الطبِّ النبوي: «**نِسْبَةُ طِبِّ الْأَطِبَّاءِ إِلَيْهِ -أي إلىٰ طبِّ النبي- كَنِسْبَةِ طِبِّ الطَّرْقِيَّةِ وَالْعَجَائِزِ إِلَىٰ طِبِّهِمْ**»، ثم بين أن طبَّ الأطباء مستخرج إما من قياس أو تجربة، أما طبُّ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فهو طبٌّ رباني فقال: «**وَأَيْنَ يَقَعُ هَذَا وَأَمْثَالُهُ مِنَ الْوَحْيِ الَّذِي يُوحِيهِ اللهُ إِلَىٰ رَسُولِهِ بِمَا يَنْفَعُهُ وَيَضُرُّهُ فَنِسْبَةُ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الطِّبِّ إِلَىٰ هَذَا الْوَحْيِ كَنِسْبَةِ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعُلُومِ إِلَىٰ مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ، بَلْ هَاهُنَا مِنَ الْأَدْوِيَةِ الَّتِي تَشْفِي مِنَ الْأَمْرَاضِ مَا لَمْ يَهْتَدِ إِلَيْهَا عُقُولُ أَكَابِرِ الْأَطِبَّاءِ، وَلَمْ تَصِلْ إِلَيْهَا عُلُومُهُمْ وَتَجَارِبُهُمْ وَأَقْيِسَتُهُمْ مِنَ الْأَدْوِيَةِ الْقَلْبِيَّةِ وَالرُّوحَانِيَّةِ**»(٣٦).

---

(٣٥) رواه البخاري (٥٦٨٨)، ومسلم (٢٢١٥).

(٣٦) زاد المعاد (٤/ ١٠)، قد أودع ابن القيم في كتاب زاد المعاد بابًا نفيسًا في الطيب النبوي، حريٌّ =

القاعدة العاشرة:
الارتباط بالأمراء عند حلول البلاء.

قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٣٧)

فهذه النوازل العامَّة تُردُّ إلىٰ ولاة الأمر، ليس لأفراد الناس أن يفتاتوا أو يتقدَّموا فيها بقرارات أو توجيهات حتىٰ لا تحدث الفوضىٰ والاختلافات، وقد وجه ولاة الأمر ببعض القرارات الوقائية التي تحفظ للشعب صحته، فلزم علىٰ الشعب الأخذ بها، والتعاون علىٰ تحقيقها.

وليحذر المسلم من الدخلاء والمتطفِّلين الذي يريدون إرباك المجتمعات وتخويفها، أو إضعاف المبادرات الوقائية، أو قلب تلك المبادرات إلىٰ مذمة أو جريمة مجتمعية أو مخالفة شرعية؛ كما فعل بعض دعاة الفتنة في قلب مفاهيم قرارات

= بمن أراد التفقه في هذا الباب أن ينظر فيه.

(٣٧) النساء:٨٣.

تعليـق الصـلاة في المسـاجد.

لفتة مهمة: من السمع والطاعة لولاة الأمر الالتزام بقرار المكث في البيوت، وعدم التَّجول والخروج سواء كان منعًا كليًّا أو منعًا جزئيًا؛ لأن ذلك يندرج تحت نصوص السمع والطاعة لهم بالمعروف، ولك في أئمة الدين القدوة في ذلك، فقد قَالَ فَقير: قُلْتُ لَيْلَةً لأَبِي وَهْبٍ: «**قُمْ بِنَا لزيَارَةِ فُلاَن. قَالَ: وَأَيْنَ العِلْمُ؟ وَلِيُّ الأَمْرِ لَهُ طَاعَة، وَقَدْ منعَ مِنَ المشِي ليلاً**»[٣٨].

نصيحة: عند لزومِك البيتَ استغل وقتَك فيما فيه نفع لك ولأسرتك، فقسم وقتك بين قراءة القرآن والكتب النافعة[٣٩]، وأداء العبادات، والجلوس مع الأهل، ومتابعة تعليم الأبناء، والتدريبات الرياضية، والتواصل الهاتفي مع أقاربك وأصدقائك وغير ذلك مما فيه خير لك في دينك ودنياك، ولا تترك الوقت يمضي عليك دون استثمار، فإنَّ أعظم الخسارة أن تخسرَ وقتك فتضيِّع عليك ساعات عمرك فيما لا ينفعك في دينك وحياتك.

(٣٨) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٠٧).

(٣٩) ومن تلك الكتب المختصرة المفيدة: تفسير العلامة السعدي، رياض الصالحين للنووي، عقيدة أهل السنة والجماعة لابن عثيمين، الفوائد والداء والدواء لابن القيم، أدب الدين والدنيا للماوردي، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين للشيخ الخضري، وغيرها من الكتب النافعة.

موعظة صغيرة: «النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، وهو القلب إن لم تسكنه محبة الله ﷻ سكنه محبة المخلوقين ولا بد، وهو اللسان إن لم تشغله بالذكر شغلك باللغو وما هو عليك ولا بد، فاختر لنفسك إحدىٰ الخطتين، وأنزلها في إحدىٰ المنزلتين»[٤٠].

القاعدة الحادية عشرة: الارتباط بالعلماء الربانيين في زمن انتشار الأوبئة والطواعين.

قال تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٤١]، في زمن الابتلاءات وانتشار الأوبئة يحتاج الناس إلىٰ من يرجعون إليه؛ فيوجههم الوجهة الصحيحة، ويسكن نفوسهم المضطربة، وقلوبهم الخائفة، وليس ذلك لأحد مثل أهل العلم الربانيين المعتدلين، يقول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « **ألا أخبركم بالفقيه حق الفقيه؟ الذي لا يقنط الناس من رحمة الله، ولا يرخص للمرء في معاصي الله** »[٤٢]، فهذه من صفات العلماء المعتدلين، أما علماء السوء فهم بين تقنيط

(٤٠) الوابل الصيب لابن القيم (١٩٨)

(٤١) الأنبياء:٧.

(٤٢) العلم لأبي خيثمة (١٤٣).

للعباد وإثارتهم ضد دولهم أو فتح أبواب البدع والفساد عليهم.

القاعدة الثانية عشرة: الفأل الحسن يبعث الأمل.

الفأل الحسن: هو الكلمة الطيبة، فقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعجبه الفأل، ولما سئل عنه قال: «**الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ**»(٤٣)، فمن الأمور الشرعية المهمة ومما يهدئ النفوس ويريح القلوب الكلمة الطيبة، التي منبعها حسن الظن بالله خصوصًا عند نزول الأوبئة، ومما لا يصلح ما يبثه بعض الناس من كلمات اليأس والإحباط التي منبعها سوء الظن بالله، أو كلمات الشؤم التي يتناقلها بعض الناس من أن هذه سنة شؤم أو نحس.

❊ ❊ ❊

(٤٣) رواه أحمد (٧٦١٨)

القاعدة الثالثة عشرة: كلُّ داءٍ لا بدَّ له من دواء.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً»(٤٤)، فأبشروا وأمِّلوا فإن الدواء عما قريب يعرف، والمرض -بإذن الله- ينجلي ويكشف؛ لأن الله لم ينزل داء إلا أنزل له دواء ليرفعه ويعالجه.

لكن ينبغي أن يتفطن لأمر مهم: وهو أن الذي أنزل الدواء هو الذي يهدي العباد لمعرفته، وأن هذا الدواء لا يشفي إلا بإذن من أنزله، فرجع الأمر إلىٰ الله؛ فلزم الرجوع إلىٰ الله.

القاعدة الرابعة عشرة:
المحافظ على الأذكار يحفظه العزيز الغفار.

الحصن الحصين ذكر الله في الصباح والمساء، وبعد كل صلاة، وقبل النوم وبعده، وإذا نزل منزلًا، وإذا خرج من بيته، وإذا دخل الخلاء، ودخل قرية أو بلدة، وتأمَّلْ من قال حين يصبح ويمسي:

(٤٤) رواه البخاري (٥٦٧٨)

« بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » **(ثلاث مرات)** لم يضره شيء[٤٥]، هذا في ذكر واحد، فكيف إن كان العبد محافظًا علىٰ جميع الأذكار؟! فإنه لا يزال في حفظ الله ومعيته[٤٦].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فوائد الذكر: **«أن ذكر الله ﷻ يسهل الصعب، وييسر العسير، ويخفف المشاق، فما ذكر الله ﷻ علىٰ صعب إلا هان، ولا علىٰ عسير إلا تيسر، ولا مشقة إلا خفت، ولا شدة إلا زالت، ولا كربة إلا انفرجت، فذكْر الله -تعالىٰ- هو الفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر، والفرج بعد الغم والهم»**[٤٧].

❊❊❊

(٤٥) رواه أبو داود (٥٠٨٨) وغيره.

(٤٦) من الكتيبات المفيدة الجامعة للأذكار: حصن المسلم لسعيد القحطاني.

(٤٧) الوابل الصيب (١٨٤).

القاعدة الخامسة عشرة:
صدق الدعاء يصير البلاء كالهباء.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[٤٨]، فمهما كبر البلاء فعند صدق الدعاء يكون كالهباء، فالهج يا عبد الله في مثل هذه الابتلاءات إلىٰ الله؛ فهو مجيب دعوة المضطر، وكاشف الضُرِّ لا يكشفه إلا هو، وهل كشف الله البلاء الذي وقع بالأنبياء إلا بعد الدعاء؟! ولك أن تتأمل في سورة الأنبياء: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ بعد دعاء نوح وأيوب ويونس وزكريا -عليهم السلام-، وبعد التأمُّل تدبَّرْ النجاة من الكرب العظيم، ودفع الضر، والنجاة من الغمِّ، ووهب الولد؛ تعرف منزلة الدعاء.

وقد كان النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يسأل الله العافية ويحث علىٰ ذلك[٤٩]، وكان ويستعيذ من الأمراض[٥٠] والأسقام.

---

(٤٨) البقرة:١٨٦.

(٤٩) ينظر: البخاري (٢٩٦٦)، ومسلم (٢٧١٢)، وسنن أبي داود (٥٠٧٤)، وسنن ابن ماجه (٣٨٧١).

(٥٠) سنن أبي داود (١٥٥٤).

القاعدة السادسة عشرة:
عند الابتلاءات احذر الإشاعات

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾[٥١]، فليس كل خبر مقبول؛ وإنما تؤخذ الأخبار من مصادرها المعتمدة في الدولة ومن أهل التخصص في هذا الشأن، وعليه فالحذر من الإشاعات ونقلها دون تثبت، وقد قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: « **كَفَىٰ بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ** »[٥٢].

وكذلك علينا الحذر ممن يتكلم في غير فنِّه، أو من المجاهيل الذين يتصدرون المشهد.

❊❊❊

(٥١) الحجرات:٦.

(٥٢) رواه أبو داود(٤٩٩٢)

القاعدة السابعة عشرة:
الصدقات تدفع المحن والابتلاءات.

قد مثل رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لصاحب الصدقة مثالًا عظيمًا فقال: « **وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ العَدُوُّ، فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَىٰ عُنُقِهِ وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: أَنَا أَفْدِيهِ مِنْكُمْ بِالقَلِيلِ وَالكَثِيرِ، فَفَدَىٰ نَفْسَهُ مِنْهُمْ** »(٥٣).

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: «**هذا أيضًا من الكلام الذي برهانه وجوده، ودليله ووقوعه، فإن للصدقة تأثيرًا عجيبًا في دفع أنواع البلاء ولو كانت من فاجر أو من ظالم بل من كافر، فإن الله تعالىٰ يدفع بها عنه أنواعًا من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مقرون به لأنهم جربوه**»(٥٤).

فهنيئًا لأهل الأموال والتجارات الذين بذلوا أموالهم وقدَّموا التبرعات، ويا خيبة ذلك التَّاجر الذي استغلَّ فترة الوباء ليغالي في الأسعار، قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: « **إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**

(٥٣) رواه الترمذي(٢٨٦٣).

(٥٤) الوابل الصيب ٦٩.

فُجَّارًا، إِلَّا مَنِ اتَّقَىٰ اللهَ وَبَرَّ وَصَدَقَ»[٥٥]، ويا خسارة ذلك التاجر الذي احتكر البضائع ليغالي بالأسعار في فترات الوباء، في وقت يتنافس فيه الناس في الخير ويتعاونون في دفع البلاء، وقد قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لَا يَحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِئٌ»[٥٦].

القاعدة الثامنة عشرة: الجزاء من جنس العمل.

قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»[٥٧]، فكلُّ من سعىٰ في علاج الأمراض عن غيره عالج الله عنه تلك الأمراض، وكلُّ من خفف ألمًا خفَّف الله ألمه، وهكذا حتىٰ يكون العبد في عونٍ من الله، وأيُّ عون أعظم وأجل وأنفع للعبد من عون الله له.

فاحرص علىٰ هذا الباب غايتك لا سيما في زمن انتشار الأمراض

(٥٥) رواه الترمذي(١٢١٠).

(٥٦) رواه مسلم(١٦٠٥).

(٥٧) رواه مسلم (٢٦٩٩).

والأوبئة فإن الناس في حاجة لإخوانهم، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَالآفَاتِ، وَالْهَلَكَاتِ »[٥٨]،

وفي هذه القاعدة بشارة للقطاع الصحي الذي كان في الصف الأول في مواجهة هذه الوباء، فنيئًا لهم هذه الثمرة والجزاء.

القاعدة التّاسعة عشرة:
لا تعمل في زمن المحن بما يخالف السّنن.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ »[٥٩]، عندما تحلُّ الفتن والابتلاءات يضطر العباد إلىٰ الرجوع إلىٰ الله بفعل العبادات، فمن لم تكن له قاعدة علمية شرعية ردَّه الشيطان إلىٰ عبادات بدعية أو شركية؛ كدعاء غير الله، كمن يدعو الحسين أو الأولياء، أو دعاء الله بأدعية محدثة، كمن يدعو بدعاء يظنه مخصوصًا بالوباء، أو ذكر الله بطريقة مخترعة، كالذي أحدث في الواتساب من تحديد ساعة لاستغفار جميع العالم، أو الصلاة لله

(٥٨) رواه الطبراني في المعجم الكبير(٨٠١٤)، دون لفظ: «وَالآفَاتِ، وَالْهَلَكَاتِ»، وقد صححها الألباني في صحيح الجامع (٣٧٩٥).

(٥٩) رواه مسلم (١٧١٨).

بصلاة محدثة كتحديد ساعة ليصلي فيها جميع العالم، وكل تلك الأعمال مردودة لعدم موافقتها للشريعة، أما من كانت عنده قاعدة شرعية علمية رجع إليها؛ فأدَّىٰ العبادات مخلصًا لله، متبعًا فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

القاعدة العشرون: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾(٦٠).

خلق الله هذا الكون فأبدعه وجعله متكاملًا منتظمًا، وأودع فيه عجائب خلقه مما تحيرت في معرفته العقول وتعجبت في النظر إليه العيون، واندهشت عند سماع صوته الآذان، وما أن تقلب بصرك في هذا الكون إلا ورأيت عجائب خلق الله، ومن عجائب خلق الله هذه الفيروسات الصغيرة التي يتراوح حجمها من (١٠) إلىٰ (٣٠٠) نانومتر، أي أن المليمتر الواحد يحتوي علىٰ مليون نانو، فهو جزء من مليار جزء من المتر، أي أنه لا يرىٰ بالعين المجردة، بل ولا بالمجهر الضوئي، لكنَّ الله جلَّ

(٦٠) لقمان:١١

وعلا وهو في سماه علىٰ عرشه يراه، بل ويرىٰ من دون ذلك قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[٦١].

فَلا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ الذَّر إِمَّا[٦٢] تَرَاءىَ لِلنَّوَاظِرِ أَوْ تَوَارىٰ[٦٣]

وقفة تأمُّل: تأمل فايروس بمثل هذا الحجم يتسبب في تعطيل شبه الحياة، وخوف الأحياء، وتحيُّر الأطباء، واختلال الاقتصاد، وتوقف الحركة النقل في العالم، أليس في ذلك عبرة وعظة بلىٰ، إذًا لا بدَّ في مثل هذه الآيات أن تستفاد العبر والعظات

إذا المرء كانت له فكرة ففي كلِّ شيء له عبرةٌ[٦٤]

فيقف الإنسان وقفة تأمل واعتبار:

فتأمل في حال الإنسان فإنه مهما كانت عنده من القوة والقدرة، إلا أنه ضعيف لا غنىٰ له عن ربِّه طرفة عين، قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[٦٥].

---

(٦١) يونس:٦١

(٦٢)إمّا هنا للتنويع.

(٦٣) تفسير ابن كثير(٦/ ٥٢).

(٦٤) تفسير ابن كثير(٣/ ٢٩٦).

(٦٥) فاطر:١٥.

وأردفِ التأمُّل تأمُّلًا في عظيم قدرة الله وعجائب خلقه في هذا الكون، ثم اتبع ذلك التَّأمُّل الاعتبار لمثل هذه الآيات التي أحدثت هذه التقلبات، ليظهر ظهورًا بيِّنًا لا شكَّ فيه أن الله هو الحقُّ لا خالق إلا هو ولا معبود بحقٍّ إلا هو قال تعالىٰ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾(٦٦)

أسأل الله القوي المتين العزيز الرحيم أن يلطف بالمسلمين، وأن يجعلنا بآياته من المعتبرين، وأسأله أن يصرف عنا هذا الوباء، ويسلم لنا بلادنا وجميع بلاد المسلمين.

(٦٦) فصلت:٥٣.

الفهرس

ثم ليُعلم أن هذه الابتلاءات بالأمراض علىٰ نوعين: ٦

القاعدة الأولىٰ: كمال العبودية يترتب عليه كمال الحفظ والكفاية. ١٠

القاعدة الثانية: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾. ١١

القاعدة الثالثة: «احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ» ١٣

القاعدة الرابعة: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ١٥

القاعدة الخامسة: الرضا بالقدر راحة القلب والصدر. ١٦

القاعدة السادسة: لا يأس من رحمة الله ولا أمن من مكر الله. ١٧

القاعدة السابعة: التوبة من الذنوب نجاة للشعوب. ١٨

القاعدة الثامنة: حسن الظَّنِّ بالله سرُّ السعادة والنجاة. ٢٠

القاعدة التاسعة: الطبُّ النبويُّ طبٌّ ربانيٌّ. ٢١

القاعدة العاشرة: الارتباط بالأمراء عند حلول البلاء. ٢٢

القاعدة الحادية عشرة: الارتباط بالعلماء الربانيين في زمن انتشار الأوبئة والطواعين. ٢٤

القاعدة الثانية عشرة: الفأل الحسن يبعث الأمل. ٢٥

القاعدة الثالثة عشرة: كلُّ داءٍ لا بدَّ له من دواء. ٢٦

القاعدة الرابعة عشرة: المحافظ على الأذكار يحفظه العزيز الغفار. ٢٦

القاعدة الخامسة عشرة: صدق الدعاء يصير البلاء كالهباء. ٢٨

القاعدة السادسة عشرة: عند الابتلاءات احذر الإشاعات ٢٩

القاعدة السابعة عشرة: الصدقات تدفع المحن والابتلاءات. ٣٠

القاعدة الثامنة عشرة: الجزاء من جنس العمل. ٣١

القاعدة التّاسعة عشرة: لا تعمل في زمن المحن بما يخالف السّنن. ٣٢

القاعدة العشرون: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ ٣٣

حقوق الطبع محفوظة

شبكة بينونة للعلوم الشرعية